



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة عباس لغرور - خنشلة - الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الملتقى الدولي الأول بعنوان:

إبدالات الخطاب النقدي المعاصر من الحداثة إلى ما بعد الحداثة

يومي 10 و11 أكتوبر 2023م

الاسم واللقب: مريم زنور

الرتبة: أستاذ محاضر ب

جامعة الانتساب: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم اللغة العربية

البريد الإلكتروني: marianour1985.43@gmail.com

رقم الهاتف: 0667075011

المحور: نظرية التلقي، الهرمينوطيقا، التفكيك، النقد الثقافي.

عنوان المداخلة: النقد الثقافي: أي بديل؟ بحث في الأسس والمرجعيات.

Cultural criticism: what alternative does it offer? Research in foundations and references.

المخلص:

يعدّ النّقد الثّقافيّ واحداً من أبرز التيارات النّقديّة في الخطاب النّقديّ ما بعد الحداثيّ بفعل ما أثاره من قضايا وإشكالات أحدثت نوعاً من القلق النّقدي والمعرفي زرع الكثير من القيم والمفاهيم الراسخة في عمق التجربة النّقديّة الأدبيّة، فقد عرض نفسه تارة بديلاً للنقد الأدبي ثائراً على كل منطلقاته الفكرية والفلسفية، وتارة مكماً لنقائصه محاولاً سد ثغراته وإتمام رحلة بحثه عن المعنى المتوارى في ثنايا النص ومنعرجاته.

من هذا المنطلق تحاول هذه المداخلة البحث في المرجعيّات الفلسفية والمعرفية التي انطلق منها النقد الثّقافي ومناقشة البدائل والآليات الإجرائية التي قدّمها هذا المشروع في سبيل سبر أغوار النص وكشف هويته الأدبيّة، مركزين في ذلك على بعض النماذج المنتجة لخطاب النقد الثّقافي في الوطن العربي كعبد الله الغزالي وإدوارد سعيد، منتهجين في مداخلتنا هذه المنهج المقارن وبعض آليات نقد النقد من خلال إعادة قراءة النصوص والآراء النّقديّة الواردة في هذا السّياق.

الكلمات المفتاحية: نقد ثقافي، نقد أدبي، مرجعية، فلسفة.

Abstract :

Cultural criticism is considered one of the most well known critical currents in the postmodern critical discourse, due to the issues and problems it raised that created a kind of critical and cognitive anxiety that shook many of the values and concepts that are deep seated in the depth of the literary critical experience. So, sometimes he presented himself as an alternative to literary criticism, rebelling against all its intellectual and philosophical premises, and at other times complementing its shortcomings trying to bridge its gaps and completing his search for the hidden meaning in the folds and twists of the text. From this stand point, this intervention attempts to

investigate the philosophical and epistemological references from which cultural criticism was launched and to discuss the alternatives and procedural mechanisms presented by this project in order to explore the depth of the text and reveal its literary identity, focusing on some models that produce cultural criticism discourse in the Arab world such as: Abdullah Al Ghadami and Edward Said adopting in our intervention a comparative approach and some mechanisms of criticism by re-reading the texts and critical opinions contained in this context.

Key Words: Cultural criticism, Literary criticism, Reference, Philosophy.

على سبيل التوطئة: "حفريات في الفكر ما بعد الحداثي"

يندرج مشروع النقد الثقافي ضمن المفهوم العام لفلسفة ما بعد الحداثة التي أقامت طروحاتها على فكرة الرفض والتقويض لعدد من المقولات المركزية في الفكر الغربي الحداثي وعملت على تشتيت الكثير من القيم الثقافية والاجتماعية والفكرية، "وما كتابات ديريدا وبودريار وفوكو المهمش في شتى تمثلاته الثقافية والاجتماعية والفكرية،" وما كتابات ديريدا وبودريار وفوكو وكوهين ورورتي إلا نماذج من الثقافة الجديدة ثقافة الدوران حول الذات الحرة في القراءة والكتاب والعمل وسحقاً للمحاور الثقافية الأخرى¹ التي جعلتها المركزية الغربية مطية للسيطرة والتهميش.

وقد انبنت فلسفة الفكر ما بعد الحداثي على محاور كبرى وجهت مجمل التحولات النقدية المنضوية تحت لوائها، ولعل أهمها الانتقال من الثبات والانتظام إلى التحول والانتظام وهو المبدأ الذي جعل الفكر ما بعد الحداثي يموج في جملة من المفردات السالبة اللامتناهية على غرار لا نظام، لا سلطة، لا مركز، لا شمول، لا ثبات... وكذا المفردات الدالة على التحول

¹ ليندا هتشيون: سياسة ما بعد الحداثية، تر حيدر حاج اسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2009م، ص 11.

على سبيل التشتت والتشظي والاختلاف والتباين ... تلك المفردات التي انعكست على حقل الدراسة الأدبية والنقدية ما أفرز تحولات كبرى في فهم التجربة الإبداعية فظهرت معايير جديدة تحكمها، فالتحول من سلطة النص إلى سلطة القارئ، وتعدد المعنى واختلافه ونفي الأحادية جعلت النص ساحة للتباينات ومجالاً للتوتر والتعارض، وحيّزاً للتبعثر، أين يتولد عن القراءة؛ تفكك البنى وانفجار المعنى، وتشظي الهوية²، فقراءة النص وفق هذا المنظور لا تتطابق مع النص وإنما تسعى إلى الاختلاف والابتعاد عنه.

أقلت تلك المفاهيم بحمولاتها الفكرية والمعرفية وبمرجعياتها الفلسفية على التجربة النقدية وكان النقد الثقافي أحد أبرز مظهراتها والذي يعدّ امتداداً لما أطلق عليه الدراسات الثقافية **Cultural Studies** التي حاولت "معالجة القصور الذي وقعت فيه النظريات الحديثة، والبحث عن أدوات جديدة للتفسير لم تُستعمل بعد، وقد اتسع نطاق هذه الدراسات، وتتوعد إجراءاتها ونتائجها بتنوع الغايات التي تتوخى الوصول إليها"³ والتي تنبثق في مجملها من التصور الفلسفي الذي يرى أصحابه أنّ النصوص والأنماط الخطابية ينبغي أن تفكك من أجل كشف التناقضات والمضمرات التي تتطوي عليها، ويرون أنه لا توجد حقيقة مستقلة عن البنيات النصية الثقافية التي يمكننا من خلالها معرفتها⁴، وفي هذا المضمار ظهرت العديد من الاتجاهات النقدية التي كانت بمثابة اللبنة الأساسية لمشروع النقد الثقافي أهمها: النقد النسوي، التاريخانية الجديدة، الجماليات الثقافية، ليأتي النقد الثقافي كمحصلة لمجمل تلك الرؤى والخلفيات، والتيارات النقدية المختلفة ويصبح المصطلح الأكثر شيوعاً

² ينظر علي حرب: نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 1995م، ص 21.

³ فتحي أحمد الشرماني: دينامية النسق الثقافي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2019م، ص 13.

⁴ ينظر جون سكوت: علم الاجتماع - المفاهيم الأساسية-، تر محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009م، مادة (ما بعد البنيوية)، ص ص 425-426.

وانتشارا في الوسط النقدي إليه ترجع العديد من الدراسات ما بعد الحداثية باعتباره نظرية تعنى بنقد الأنساق الثقافية التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي عموماً، والخطاب الأدبي على وجه الخصوص⁵، إنّه قراءة للنص الأدبي في ضوء الثقافة المنتجة له فهو النقد الذي:

- يفتح على كل ما هامشي وثانوي وغير جمالي، فلا يُلزم نفسه بالتصنيف المؤسساتي للخطابات الأدبية، فيستوعب بذلك متغيرات ما بعد البنيوية من رفض للعقلانية وتجاوز لكل ما هو رسمي وخبوي.
- يحاول الإفادة من مختلف المناهج التحليلية والنظريات التأويلية، ويفيد أيضاً من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي، والتي تساعده على البحث في أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوي⁶.

1-النقد الثقافي عربياً:

إنّ المتتبع للحركة النقدية العربية يلحظ الاهتمام الكبير الذي حظي به مشروع النقد الثقافي لدى النقاد والباحثين العرب الذين استقبلوا هذا المشروع بشغف كبير فعكفوا عليه تنظيراً وتطبيقاً، وقد ارتبط النقد الثقافي في الوطن العربي ارتباطاً وثيقاً بالناقد السعودي عبد الله الغزالي في كتابه الرائد "النقد الثقافي -قراءة في الأنساق الثقافية العربية" والذي عمل من خلاله على توسيع دائرة النقد من خلال إدخال عنصر النسق على منظومة الاتصال كما أوردها رومان جاكوبسون، وعليه أصبحت القراءة النقدية لا تقتصر على البحث عن الجمالي في النص وإنما تتعداه إلى كشف الأنساق الثقافية المنضوية خلف البنى الجمالية والبلاغية المختلفة.

كما يعدّ كتاب الاستشراق - المفاهيم الغربية للشرق- وغيره من كتابات المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد حلقة مهمة ساهمت بشكل كبير في تأسيس مشروع النقد الثقافي

⁵ ينظر فتحي أحمد الشرماني، دينامية النسق الثقافي، ص ص 12-13.

⁶ ينظر المرجع نفسه، ص 14.

وذلك باعتباره عمل على "الربط بين الأدب والكتابة والدرس بصفة عامة، وبين النزعات البشرية المنحطة التي يدينها الغربيون بأسنتهم ويؤيدونها في قلوبهم وأفعالهم حتى العصر الحالي بل حتى هذه اللحظة، مثل النزعة العنصرية والتعصب العرقي تحديداً ومثل الأطماع المادية الاستعمارية القائمة على الجشع المحض، ومثل نشدان التسلّط والسلطان لذاته، وهو ما يتجلى في بناء الإمبراطوريات أي الإمبريالية وما إلى ذلك بسبيل"⁷، ووفقاً لهذه الرؤية كرّس إدوارد سعيد أبحاثه في سبيل وضع تصور منهجي يسعى إلى كشف الأنظمة السياسية والاجتماعية والثقافية في تجلياتها الإبداعية من خلال الربط الذي أقامه بين النص والكتابة والدرس وما تخفيه من نزعات إستعمارية عنصرية اتجاه الشعوب التي أضفت عليها صفات الشرقية.

ووفقاً لما سبق تسعى هذه الورقة البحثية إلى البحث في الأسس والمرجعيات التي يقوم عليه مشروع النقد الثقافي في نسخته العربية ممثلاً في الكتابين السابقين (النقد الثقافي، الاستشراق) من خلال عرض المبادئ التي أقام عليها كلا الباحثين تصوره للقراءة الثقافية للنص الأدبي، ثم العمل على المقارنة بينها للوقوف على مواطن المشاكلة والاختلاف بين الطرحين والتي من شأنها (المقارنة) أن تعمق فهم الأصول الفلسفية والمعرفية للنقد الثقافي باعتباره واحداً من أبرز التوجهات النقدية المعاصرة التي تسعى إلى إثبات مشروعيتها النقدية والفلسفية.

أولاً — عبد الله الغذامي وسؤال النسق الثقافي:

يؤكد عبد الله الغذامي أنّ النقد الأدبيّ قد أدى دوراً مهماً في الوقوف على جماليات النص الأدبي، كما ساهم في تدريب المتلقي على تنمية ذوقه الجمالي. ولكنه وبسبب إفراطه في البحث عن جماليّات النص الأدبيّ أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام

⁷ إدوارد سعيد: الاستشراق - المفاهيم الغربية للشرق-، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة،

ط1، 2006م، ص ص 18-19.

عن العيوب النسقية المختبئة تحت عباءة الجمالي، وظلت العيوب النسقية تتنامى متوسّلة بالجمالي، الشعريّ والبلاغي، حتى صارت نموذجاً سلوكياً يتحكم فينا ذهنياً وعملياً وحتى صارت نماذجنا الراقية - بلاغياً- هي مصادر الخلل النَّسقي⁸، وهي دعوة صريحة إلى ضرورة تجاوز النموذج الأدبيّ في قراءة النصوص الإبداعية ومقاربتها إلى نموذج يحسبه أكثر فاعلية في كشف مكونات النص المتخفية خلف جمالياته، وهذا المتخفي هو ما اصطلح عليه الغدامي بالنسق المضمّر، فتصبح الغاية من دعوته هذه هي " تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتبريره (وتسويقه) بغض النظر عن عيوبه النَّسقية، إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه"⁹، تلك هي فلسفة النقد الثقافي ومرجعه الأوّل في مشروع عبد الله الغدامي، وتلك الأداة التي دعا إليها هي اللبنة الأساسية التي عمل على بيان أسسها ومرجعياتها الفلسفية والمعرفية والمنهجية، ليصبح النقد الثقافي عنده فرعاً من فروع النقد النصوي العام، معنيّ بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكلّ تجلياته وأنماطه وصيغته، سواء كان هذا الخطاب رسمياً أو مؤسساتياً أو غير ذلك، فهو غير معنيّ بكشف الجمالي فحسب، وإنّما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/الجمالي¹⁰.

يتحدد مفهوم النسق في فلسفة عبد الله الغدامي انطلاقاً من وظيفته لا من خلال وجوده المجرد، ولا يمكن لهذه الوظيفة النسقية أن تقوم إلا بتوفر نسقين متضادين ومتناسخين؛ أحدهما ظاهر والآخر مضمّر في نص واحد يشترط أن يكون جميلاً وفق اعتبارات الرعية الثقافية، لأنّ الجماليات هي الحيلة الأخطر لتمرير الأنساق وترسيخها، كما جعل الغدامي

⁸ ينظر عبد الله الغدامي: النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية- ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2005م، ص ص 07- 08.

⁹ المرجع نفسه، ص 8.

¹⁰ ينظر المرجع نفسه، ص ص 83- 84.

جماهيرية النص واتساع مقروئيته هي الأخرى شرطا لكشف أنساقه وما له من تأثير اجتماعي وثقافي عميق¹¹.

وبناء على ذلك فإنّ البديل الذي تقدّمه القراءة الثقافية وفق طروحات عبد الله الغدّامي يقوم في الأساس على ما يسمى بالقراءة النسقية التي تحاول قراءة النصوص الأدبية في ضوء السياقات المنتجة لها، وهي سياقات متعددة تاريخية واجتماعية وثقافية، فالنص وفق هذه القراءة يتضمن في بنيته العميقة أنساقا مضمرة ومخاتلة قادرة على التّمع يتطلب كشف دلالاتها إنجاز تصوّر كليّ حول طبيعة البنى الثقافية للمجتمع، وتكوين جهاز معرفي/ ابستمولوجي من لدى المؤول الثقافي لفك شفرات المحتملات النسقية¹².

والنسق كمفهوم مركزي في فلسفة النقد الثقافي خاضع مجموعة من المتغيرات التي تجعل منه مفهوما ديناميا له قدرته على الحركة والانفلات، فطبيعة الثقافة والسياقات التاريخية والاجتماعية وكذا المفاهيم الجمالية لدى الجماعة البشرية، كلها مفاهيم لها أثرها في تحديد طبيعة النسق ومرجعياته، وهو ما جعل مفهوم النسق مفهوما فاعلاً إجراءً وفلسفة في التصورات النقدية ما بعد الحداثية وذلك لتناسبه مع الكثير من مقولاتها على سبيل المركز والهامش، النسوية، وما بعد الكولونيالية، الجنوسة والهوية... وما إلى ذلك.

ثانياً — إدوارد سعيد: نقد ثقافي مقاوم:

أشرنا في موضع سابق من هذه الورقة إلى المكانة الهامة التي احتلها المفكر إدوارد سعيد في حقل الدراسات النقدية الثقافية، فمن خلال ما قدّمه من أبحاث ودراسات إلى وضع تصور علمي لمقاربة النصوص الأدبية مقارنة لا تقف عند حدود أبنيتها اللغوية والجمالية، وإنما تتعدى ذلك للكشف عما تضره من خلفيات فكرية وثقافية وسياسية، وانطلاقاً من هذا

¹¹ ينظر المرجع السابق، ص ص 77-78.

¹² ينظر يوسف عليمات: النسق الثقافي - قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم -، عالم الكتب

الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009م، ص 11.

جاءت نظريته في النقد ساعية إلى الوصول إلى ما يسميه إدوارد سعيد بـ"الجوهر" الذي يعتقد أنّ مختلف النظريات النقدية الحداثيّة فشلت في بلوغه بفعل تركيزها على البنى السطحية للنصوص والخطابات.

قدّم سعيد في كتاباته المختلفة جملة من المفاهيم التي أسس من خلالها لتصور جديد للنقد والنظرية الأدبيّة، فانطلاقاً من ثنائية (البنوة والاتباع) القائمة على المشاكلة والاختلاف التي قدمها في كتاب "البدايات: المقصد والمنهج" الذي أصدره 1985 بلور مفهوماً جديداً للعلاقة بين النص والتراث الأدبيّ؛ "فالبنوة تعني عنده الانتماء في خصائص معينة للتراث الأدبي والفكري بداية، حتمي مثل انتماء الأبناء إلى الآباء. فالابن لا يملك إلا أن ينتمي لأبويه. فهو ينحدر من نسلهما ويرث منهما صفات بيولوجية ونفسية معينة شاء ذلك أم أبي¹³، أما الاتباع أو الانتساب فهو قائم على الاختيار في تبني خصائص أو توجهات إبداعية معينة، وهذه الثنائية تمثل واحدة من المفاهيم المركزية في فكر إدوارد سعيد لأنّها دورا هاما في تحديد تصوره للإبداع الأدبي والثقافي والفكري من خلال التأكيد " للخاصية المميزة للثقافة بشكل عام وللأدب على وجه التحديد، وهي خاصية الثابت والمتحول والخاص والمشارك¹⁴، التي تتساوى من خلالها الثقافات والآداب المختلفة وتلغي فكرة التبعية التي كرّست لها المركزية الغربية التي لطالما عملت على ترسيخ فكرة التابع في آداب العالم الثالث، وهو ما جعل يقول محمد عناني في مقدمة كتاب الاستشراق: " لقد حرر إدوارد سعيد هذه النظرية (نظرية الأدب) من المركزية الأوروبية من التجريد الذي مارسه أصحابها، وخصوصاً من الفلاسفة الفرنسيين وأتباعهم الأمريكيين، ففتح الباب أمام الخبرات أبناء ما يسمى ببلدان العالم الثالث، وبخاصة التي تحررت من الاستعمار، حتى يعيدوا النظر فيما ورثوه من

¹³ عبد الرحمن النوايتي: السرد والأنساق الثقافية، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016م، ص

¹⁴ المرجع نفسه، ص 99.

العهود الاستعمارية من صور تمثيلية (للعالم ولأنفسهم). وهي التي فُرضت عليهم وأصبحت تمثل لهم طرائق التفكير (علمية) وليست سوى صوراً زائفة لأنفسهم وللعالم¹⁵.

وقد اتخذ إدوارد سعيد من السرد عموماً والرواية على وجه الخصوص فضاءً لكشف المركزية الغربية، ليصبح بذلك رائداً للدراسات ما بعد الاستعمارية أو ما بعد الكولونيالية باعتبارها " تبحث في العلاقات الثقافية بين الغرب بوصفه مستعمراً، وما يقع خارج الغرب من دول وقعت تحت طائلة الاستعمار، وما تتضمنه تلك الدراسات من تحليل للنصوص الأدبية وغيرها للكشف عن استراتيجيتها الخطابية"¹⁶، مستشهداً بعدد من الأعمال الروائية التي واكبت زمن الإمبريالية وعملت على إظهار الاستعمار في صورة المخلص الذي جاء لإنقاذ الشعوب من التخلف والتبعية الاجتماعية والاقتصادية فهو المتفضل على تلك الشعوب العاجزة عن تمثيل نفسها وهي بحاجة دائمة لمن يمثلها، وقد وفقت المركزية الغربية إلى حد كبير في إقناع هذه الشعوب بأنها غير قادرة على فعل شيء دون وصاية الآخر وأن ذلك التشريع لا يأتي من مجتمعها (الشعوب المستعمرة) ومن قيمها، ولكن من مجتمعها وقيمه هو¹⁷، ذلك هو الوجه الآخر القبيح للكولونيالية المتواري خلف الحضارة المشرقة الذي عمل إدوارد سعيد على كشف حقيقته وتعريفه أمام ذاته وأمام الآخر، يقول: "إنّ نقطتي الأساسية هي أنّ القصص أيضاً تغدو الوسيلة التي تستخدمها الشعوب المستعمرة لتأكيد هويتها الخاصة ووجودها التاريخي الخاص (...). إنّ الأمم كما اقترح أحد النقاد هي سرديات ومرويات وإنّ القوة على ممارسة السرد، أو على منع سرديات أخرى من أن تتكون وتبزغ لكبيرة الأهمية بالنسبة للثقافة والإمبريالية والأكثر أهمية هو أنّ السرديات الجليّة الكبرى

¹⁵ إدوارد سعيد: الاستشراق، ص 28.

¹⁶ حفاوي رشيد بعلي: مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب، دروب، للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص258.

¹⁷ ينظر إدوارد سعيد: السيف والقلم، حوارات مع دافيد بارساميان، ترجمة توفيق الأسدي، دار كنعان للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1998م، ص 134.

للتحرر والتنوير قد جندت الشعوب في العالم المستعمر وحفزتها على الانتفاض وخلع نير الإمبريالية، وخلال هذه العملية هزت تلك القصص وأبطالها العديد من الأوروبيين والأمريكيين أيضاً، فقاموا هم بدورهم من أجل سرديات جديدة للمساواة والروح المجتمعية الإنسانية¹⁸.

ولعل المختلف في المشروع الثقافي لأدوارد سعيد هو بحثه في البنى العميقة للفكر الغربي والعمل على تحليل عقده الفكرية، ولعل من أبرز المفاهيم التي قدّمها في هذا السياق مفهوم **النقد المقاوم**، وقد ربط سعيد النقد بالمقاومة لأنّ النقد عنده فعل مقاومة، "يرى نفسه مشجعاً على الحياة، ومعارضاً بحكم تكوينه، لأي شكل من أشكال الطغيان والهيمنة والظلم، مع العلم أن أهدافه الاجتماعية تتمثل بإنتاج المعرفة بحرية بعيداً عن القسر ولمصلحة الحرية البشرية"¹⁹، وهذا النقد هو مهمة المثقف الذي يجب أن يمارس النقد مقاومة للمركزية الغربية، بعيداً عن أي شكل من أشكال التحزب أو الانتماء ليكون طاقة وقوة تتخلص من خلالها الشعوب من تبعيتها ونظرتها الدونية لذاتها وانبهارها بالمستعمر، فالمثقف في نظر إدوارد سعيد يجب أن يكون "صاحب وعي نقدي، وعي لا يكون حبيس إيديولوجية ما أو حزب ما، حتى يتمكن من إعادة النقد إلى العالم، والبحث عن حرية الرأي وحرية التعبير"²⁰، ولعل ذلك الوعي هو ما يجعل المثقف صارماً في مواقفه وقادراً على الرد وقول الصدق بعيداً، فلا يكون من "دعاة المهادنة والتهدئة، ولا هو من بناء الإجماع، بل هو شخص يرتهن وجوده كلّه وكيونته كلّها بامتلاكه حساً نقدياً، أي وعيه بأنّه يرفض الوصفات أو الحلول السهلة، أو القوالب الفكرية أو اللفظية المستهلكة، أو الأقوال التي يُقصد بها البرهنة على صحة ما يقوله أصحاب النفوذ ودعاة الحفاظ على الأعراف السارية وسلامة ما يفعلونه، وهي أقوال تتسم

¹⁸ إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط3، 2004م، ص 18

¹⁹ إدوارد سعيد: العالم والنص والنقد، ترجمة عبد الكريم محفوض، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2000م، ص 35.

²⁰ المرجع السابق، ص 28.

بقدر متزايد من مجاملة المتلقي وتملقه، وهو لا يرفض ذلك رفضاً سلبياً، بل يترجم رفضه . إلى فعل بتعبيره عنه على الملأ" وأبرز ردود الفعل الإيجابية حسب تصور سعيد الرد على الكتابة بالكتابة والنص بالنص، ليربط بين المقاومة والثقافة؛ فالثقافة تمثل أداة للمقاومة في مواجهة محاولات الطمس والإزالة والإقصاء. إن المقاومة هنا هي شكل من أشكال الذاكرة في مقابل محاولات النسيان، فإذا اضطلع المثقف بتلك المهمة مثل تهديداً حقيقياً للسلطة المستبدة²¹، وإذا أردنا أن نتخذ مثالا لهذا المثقف الذي يبحث عنه إدوارد سعيد من تاريخ كان العلامة عبد الحميد ابن باديس خير من يمكن الاستشهاد به، فهو المثقف الذي استطاع بفضل وعيه من إدراك خطورة السياسة الفرنسية الساعية إلى طمس الهوية العربية الإسلامية في الجزائر، ولذلك عمل على التصدي لها مترجماً رفضه في شكل برنامج ثقافي جمع فيه بين تعليم العربية وتحفيظ القرآن وترسيخ قيم وتعاليم الدين الإسلامي لمساعدة الشعب الجزائري على الحفاظ على مقومات الهوية والاضطلاع بمهمة المقاومة كما رسم ملامحها إدوارد سعيد في مختلف كتاباته.

خاتمة: نخلص من خلال ما سبق إلى جملة من النتائج والملاحظات نوجزها فيما يأتي:

- يأتي النقد الثقافي في طليعة التوجهات النقدية ما بعد الحداثية لانشغاله على كثير من الحقول والمجالات ذات الصلة بفكرة التقويض والتفكيك التي دعت إليها فلسفة ما بعد الحداثة.
- لا يمكن للنقد الثقافي أن يحل بديلاً عن النقد الأدبي وإن ادعت بعض الأصوات ذلك (عبد الله الغدامي)، وإنما جاء مكملاً لبعض نقائصه المعرفية والمنهجية.

²¹ ينظر إدوارد سعيد: الثقافة والمقاومة، ترجمة علاء أبو زينة، دار الآداب، لبنان، ط1، 2006م، ص

• انتقل عبد الله الغدامي بالنقد من سؤال النص إلى سؤال النسق كمفهوم إجرائي سعى من خلاله إلى مقارنة النصوص والخطابات وكشف ما تضرره من عيوب نسقية متخفية تحت عباءة الجمالي.

• يأتي نقد الكولونيالية في كتابات إدوارد سعيد ضمن مشروع نقدي ثقافي يهتم بتفكيك الخطابات والممارسات الاستعمارية المستترة خلف دعاوى العلم والمعرفة والموضوعية.

• النقد عند إدوارد سعيد هو فعل مقاومة في المقام الأول، يسعى المثقف من خلاله إلى تعرية مركزية الفكر الأوروبي وخلفياته الإمبريالية.

• انطلق مشروع إدوارد سعيد من داخل الفكر الغربي من خلال العمل على تفكيك خطاب الاستشراق، على العكس من ذلك اهتم الغدامي بالخطابات والنصوص الأدبية العربية رغبة منه في الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة والمتخفية خلف البنى الجمالية الشعرية خاصة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إدوارد سعيد: السيف والقلم، حوارات مع دافيد بارساميان، ترجمة توفيق الأسدي، دار كنعان للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1998م.
2. إدوارد سعيد: العالم والنص والنقد، ترجمة عبد الكريم محفوظ، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2000م.
3. إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط3، 2004م.
4. إدوارد سعيد: الاستشراق – المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م.
5. إدوارد سعيد: الثقافة والمقاومة، ترجمة علاء أبو زينة، دار الآداب، لبنان، ط1، 2006م.
6. جون سكوت: علم الاجتماع – المفاهيم الأساسية، ترجمة محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2009م.
7. حفناوي رشيد بعلي: مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب، دروب، للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م.

8. عبد الرحمن النوايتي: السرد والأنساق الثقافية، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2016م.
9. عبد الله الغدامي: النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية-، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 2005م.
10. علي حرب: نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 1995م.
11. فتحي أحمد الشرماني: دينامية النسق الثقافي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2019م.
12. ليندا هتشيون: سياسة ما بعد الحداثية، تر حيدر حاج اسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2009م.
13. يوسف عليمات: النسق الثقافي- قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم -، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2009م.